
مكتبة الطفل
دار ثقافة الأطفال
سلسلة قادسية صدام
الرحلة الشاقة
معد فياض
المسح الضوئي : bluebird06
اعداد وتوثيق : احمد هاشم الزبيدي
٢٠١٦م
ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net
ثمن النسخة داخل العراق ١٥٠ فلسا عراقيا
خارج العراق ٣٥٠ فلسا عراقيا
دار الحرية للطباعة . بغداد

ادب الحرب المصور للاطفال

حكايات من الحرب العراقية الايرانية

(١٩٨٠ - ١٩٨٨) م

مكتبة الطفل
دار ثقافة الاطفال
وزارة الثقافة والاعلام
الجمهورية العراقية

سلسلة قادسية صدام

٢٠

الرحلة الشاقة

تأليف : معـد فياض
رسوم : سلمان البصري
الاخراج الفني : نهى عبد عزيز
المسح الضوئي : Bluebird06
اعداد وتوثيق : احمد هاشم الزبيدي

٢٠١٦م



سلسلة قادسية صدام

١- حكايات من المعركة
٢- عيون ندى
٣- كتيبة دبابات رائعة
٤- الرجال الثلاثة
٥- دبابتان في الليل
٦- اللغم
٧- الدبابة رقم واحد
٨- الصولة
٩- الدراجة
١٠- الراعي الصغير
١١- اسد البر
١٢- رجال من بلدنا
١٣- حكايات من قادسية صدام
١٤- الليل الطويل
١٥- مهمة في الظلام
١٦- مقاتل برتبة شهيد
١٧- تلال يغسلها الصباح
١٨- ملحمة الخفاجية
١٩- وجبة ساخنة
٢٠- الرحلة الشاقة
٢١- القمة الثالثة
٢٢- الابطال لا يقهرون
٢٣- فارس الليل

ملاحظة / هذه الاحصائية حصيلة لجهود ثلاث سنوات من البحث عن عناوين ومطبوعات هذه السلسلة النادرة ...

...المؤرشف

الرحلة الشاقة

((القصة الكاملة لرحلة البطل طلال لطيف في الأرضِ الحرامِ والأحداثُ في هذه الحكايةِ حقيقةٌ وكما رواها البطلُ نفسه))



عادَ الى ارض الوطنِ ضمنِ اتفاقية تبادلِ الأسرى جرتْ من خلالِ منظمة الصليبِ الأحمر الدولية عَبر انقرة عاصمة تركيا ..

ففي ارض المطار كانتْ هُناك امه وخطيبته غادة اللتانِ لم تفقدا الأمل بعودته يوماً ما .. وكانَ كل العراقِ باستقباله واستقبال رفاقه الذينَ عادوا مَعَه .. وعندما هَبَطَ طلالٌ من سلم الطائرة ركعَ عندَ الأرض العراقية وقبل تُرابَ العراقِ وهو يقول : ها انذا قد عُدتُ اليكَ ياعراق ..

وقد لقيَ طلالٌ رعاية القائد الفذ صدام حسين ، حيثُ تمتْ معالجته في ارقى مستشفيات العالمِ .. وهو ما يزال متفائلا بعودة بصره اليه ..

أما ماذا يفعلُ طلال الآن مع عائلته وزوجته غادة ؟

فهو لم ينفك من ممارسة هواياته السابقة في مجال الميكانيك والحاسبات الالكترونية والكهربائية .. وهو يقول :

انني سعيد لان هناكَ الكثير من الوقت والمشاريع والافكار التي اريد تنفيذها من اجل تقدم وطني الحبيب ..

بانتظار المعركة



الدبّاباتُ ما زالتْ عندَ مواضيعِها،بانتظار الأوامرِ للتحرّكِ نحوَ مَيدانِ القتالِ .. لمْ تمضِ فترةٌ طويلة على نقلِها من شرقِ البصرةِ ، بعد ان خاضَتْ معاركَ ضارية هُناك ، ضد قوّات العدوان الايراني دفاعا عن مدينةِ البصرةِ ، التي تتعرضُ باستمرار للقصف الوحشي،من مدفعيةِ العدوّ الأيراني ..

كانَ الملازمُ "طلال لطيف" يربضُ فوقَ دبابتهِ وكأنّه يعتلي صَهوَةَ جَواد جموح،ففي حالةِ الانذار يتّخذ كلّ مقاتلٍ موضِعَهُ الملائمَ ليكونَ جاهزاً تماماً عند بدء المعركةِ .. وها هي كلّ الدلائلِ والدوريات الأستطلاعيةِ قد أشارتْ الى بَدءِ الهجومِ الايراني، المعادي ضِدّ مندلي الصامدَة ..

مدينةُ مندلي والتي لا تبعُدُ عنِ الحدودِ الأيرانية سوى خمسةِ كيلومترات ، كانتْ قد تعرضَتْ للقصفِ الأيراني المعادي،منذُ بداية أيلول ١٩٨٠ ، وراحَ ضحية القصف الوحشي الأطفالُ والنساءُ والناسُ العُزلُ الآمنون ..



كان طلال يراقب قرص الشمس الذي صارَ مثلَ بُرتقالة يشع منها ضياءٌ ذهبي يختلط مع خُضرة المروجِ والبساتينِ ، فيتحولُ الكونُ الى لوحة فنية رائعة .. و"طلال" وصل قريبا من اَجازته ، حيثُ أمضى أيامَ الاجازة بينَ أهلهِ وخطيبتهِ «غادة».تذكّر كيف تحدّثَ اليها عن معاركِ شرقِ البصرةِ وعن دبابَتهِ التي يعتبرُها أروع رفيق في سوحِ القتالِ .. وتذكر أمه وهيَ ترفعُ يديها وتتلو دُعاءَها من أجل ان تنتصرَ قواتُنا ويعودَ طلالُ سالما اليهم ..

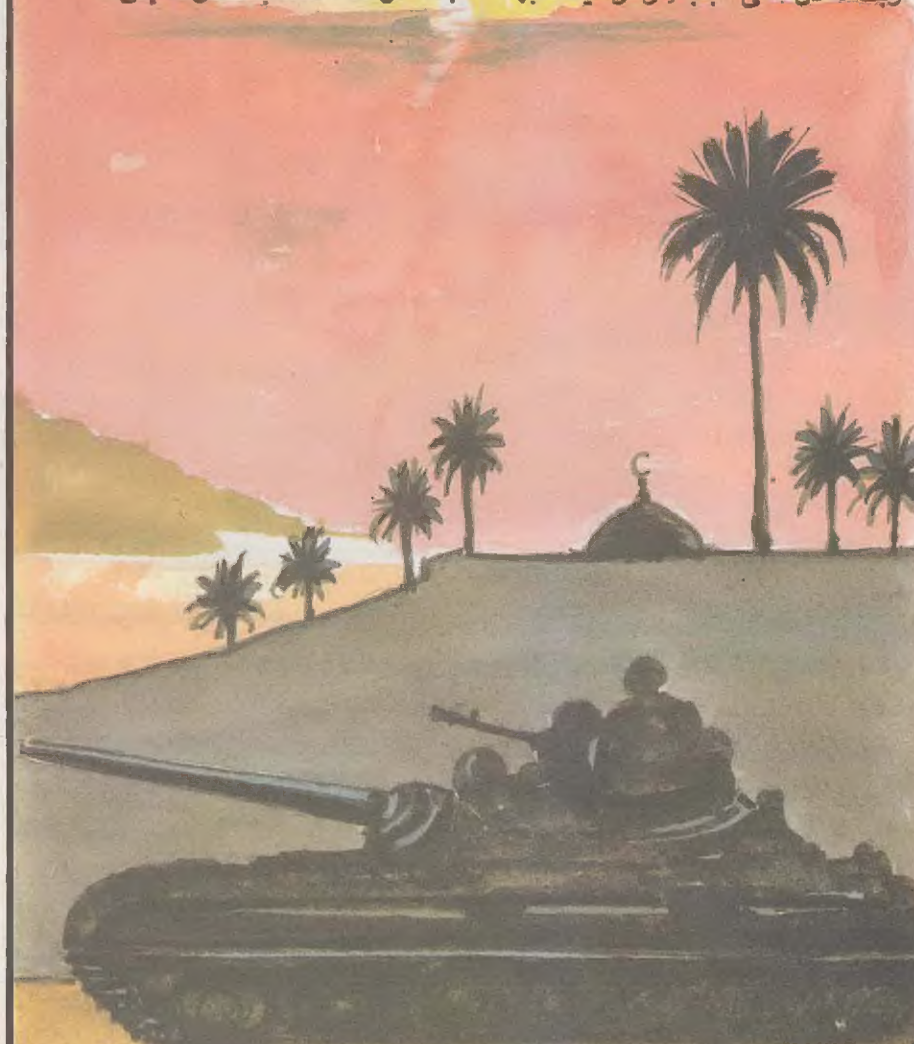
بدأت الشمسُ تختفي،وتَتَحول الى بُرتقالة لتستقِر عندَ غصنِ شجرةِ برتقالٍ في أحدِ بساتينِ بعقوبة ..

هبَطَ "طلالُ" الى داخلِ الدبابة يتفقّدها مرةً أُخرى،فهو مولعٌ بالأجهزةِ الميكانيكية والكهربائية ..

ثمة أصوات انفجارات متلاحقة،جَعَلته يُخرجُ راسهُ من دبابتهِ ليرى الفضاءَ وقد تَحول الى كُتلةٍ من نار،وقذائف تنوير،فقد كانتِ القنابلُ المعاديةُ تتساقطُ فوقَ مندلي مثلَ المطر ..

قالَ"طلال" : يبدو أن الهجومَ الايراني صارَ قريبا جدا .. ذلك ان مثلَ هذا القَصفِ غالبا ما يسبقُ اي هُجوم مُعاد ..

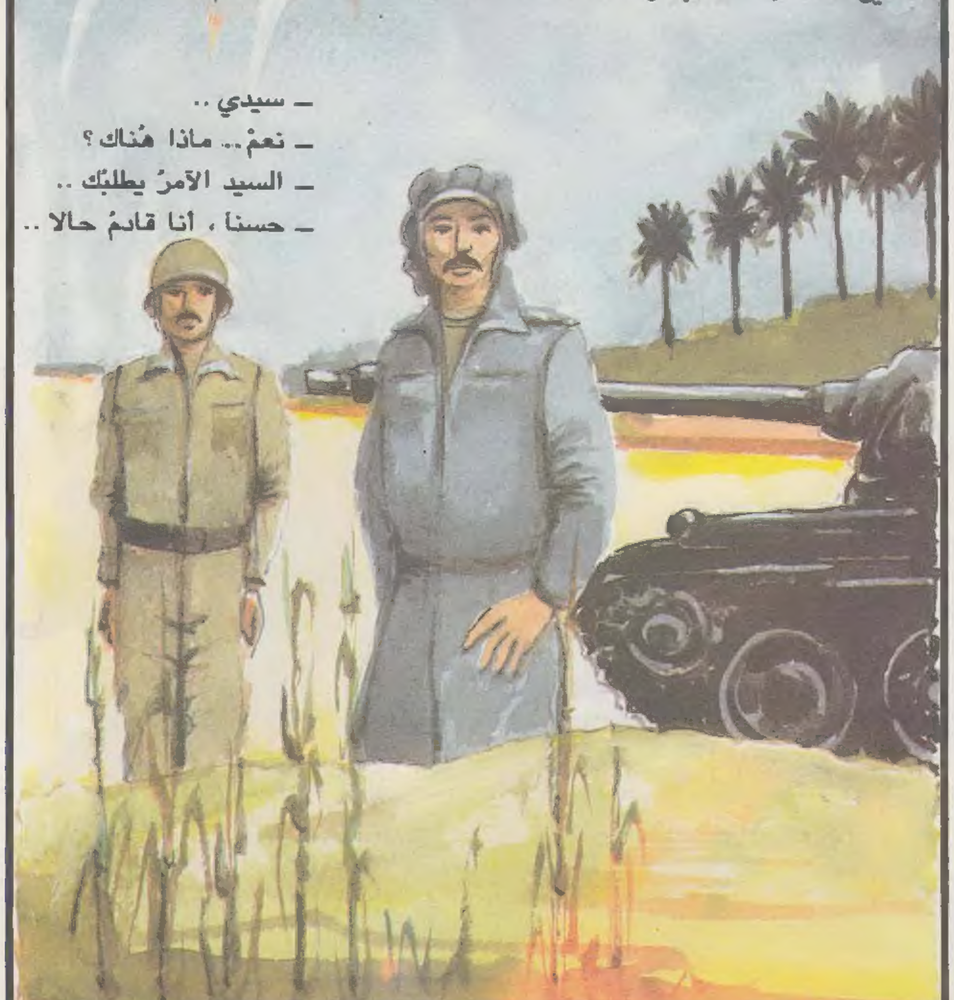
ربَتَ طلالُ على دبابتهِ وهوَ يخاطبها : جاءَ الوقتُ المناسبُ للحركة إذن ..



الليلة الحاسمة

نظرَ طلالُ الى ساعتِه .. قرأ التاريخَ جيدا ٣٠/ ٩/ ١٩٨٢،عادَ بعدَها وهو يُحدق بقذائف التنويرِ المعاديةِ .. كانَ يتحرقُ شوقا لأوامر الحركةِ .. رعيلُ الدّبابات الذي بأمرته،تهيّأ هوَ الآخر استعدادا لخوضِ المعركة..

قطَعَ احدُ المقاتلين على طلال تأمّله وهو يرصِدُ سيلَ القـذائف المتفجـرة هُنا وهناك ..



ــ سيدي ..

ــ نعمْ.. ماذا هُناك ؟

ــ السيد الآمرُ يطلبُك ..

ــ حسناً ، أنا قادمُ حالا ..

كانتْ غرفةُ الحركاتِ تزدَحِمُ بالضباطِ الذينَ تحلّقوا حولَ خارطةٍ عسكريةٍ تضُمُّ كلَّ تفاصيلِ تضاريسِ مندلي وما يحيطُ بها .. ادىّ طلالُ التحية وهوَ ينتظرُ أوامرَ الآمر .. قالَ الآمر:

ـ أهلا طلال ، تفضل ..

انضم طلالُ الى مجموعة الضباطِ وهوَ يراقِبُ اشارة الآمرِ الذي راحَ يشرح خُطة التحرك :

-ستقود دبابتك ياطلال الى هذه المنطقـة .. الهندسـة العسـكرية هيّأت بواسـطة الجرّافات مواضِعَ للدبابات ..

كانَ السّيدُ الآمرُ يتحدثُ وهوَ يشيرُ بعصاهُ الى منطقة محددة في الخارطة ..

ـ واينَ سيكونُ هدفُ الرمي؟

ـ هذه ..

أجابهُ الآمرُ ، وراحَ يتابعُ .. حافة الحجاباتِ المعادية ..

ـ مفهوم سيدي ..

ـ هيّا إذن السرعَة عامل مهم في رسمِ نتائجِ المعركة .. اسرعوا بالوصولِ الى هناك ..

خرجَ طلالُ مسرعاً ، حيثُ صعَدَ الى دبابته واعطى أوامره بالحركة .





الوصول

كانتِ الدباباتُ تنطلق بسرعةٍ كبيرة،تُفتتُ تحتَها الصخورَ مثلَ الطباشير .. ولم تمضِ خمسُ دقائقَ، حتى كانتِ الدباباتُ على مَقربة مِنَ مواضِعها ..

تُرى ماذا كانَ يفعلُ طلال خلالَ مسيرةِ الدبابات ؟

لقد كانَ مُنشغلا بالاتصالِ معَ بقّية الدباباتِ ، ومعَ موضعِ القيادة .. فجأة أستدارتِ الدبابةُ نحوَ الشمال ، وحدثَ شيء ما،غيرَ تردّدُ الاتصال .. فقد اصطدَمتْ ساقُ طلال اليسرى بجهاز الاتصال .. سارعَ طلالُ لإصلاحِ ترددِ الجهاز من أجل مُعاودةِ اتصاله ..

وحدثَ ما لم يكُنْ في الحُسْبانِ .. الدبابة اهتزتْ بقوة.وخَمَّنَ طلالُ ان دبابته أصيبتْ بقانفة معادية ..

وعندما أستفسرَ من سائق الدبابة عن سببِ هذهِ الرّجة ، أجابَهُ : سيّدي ، لقد أصيبتَ الدبابةُ بقانفة مُعادية ..

– لا يَهم ، استمر بالتقدم ..

قالَ له طلال ..

وقبل أن تأوي الدبّابة الى موضعِها فاجأتْها قنيفةٌ ثانية،قوتُها تُساوي قوةَ القنيفةِ السابقةِ .. تعطلت الدبابة منِ الحركة .. القنيفةُ الثالثةُ أصابتْ مخزنَ وقودِ الدبّابة مما سببَ أشتعالهَا .. اعطى طلالُ أوامرَهُ باخلاء الدبّابة ، وكانَ آخر مَنْ تَركَها وهو يشعرُ بالحزن .. أما القنيفةُ الرابعةُ فقد أصابتْ عُشّ المدفَع ..

أخذ طلال معه بُندقيّته وأستعدَ لملاقاةِ عدوّهِ الذي تسببَ بحرق الدبّابة .. سحَبَ أقسامَ البندقية.وقبل أن يضغطَ على زنادِ البندقيةِ انفجرتْ أمامه قنبلة يدوية «رمانة» .

تنفسَ طلالُ رائحةَ البارودِ وشعرَ ببرودةِ تغشي وجْههَ ولم يَعُدْ يرى شيئا .. سقَطَ على الارضِ،من شدةِ الألمِ الذي توزع على أنحاءِ جَسَدِه ، فقد توزعتْ شظايا القنبلة في عينيه وفي أنحاءِ جَسَدِه ..

حاولَ طلالُ الوقوفَ على ساقيهِ ، لكنه لم يستطعْ أن يتحركَ أية حركة ..



((الانفجار))

في اللحظة التي انفجرتْ بها القنبلةُ أمامَ وجهِ طلال ، مرتْ حياتُه أمام عينيهِ مثلَ فيلم سينمائي وبسرعة هائلة ..

لم يكنْ يعرفُ ما حَدَثَ له بالضبط .. فقد مدّ يَدَهُ نحوَ وجههِ لكنّه اكتشف أنه لم يعد يَرى شيئا ، وأنه فقدَ بصَرَه ..

على اية حال كانَ يعتقدُ ان بصَرَه سيعودُ اليه بسرعة ، وأن هذا الألمَ سببَه جروح بسيطة قد تخف بعدَ قليل ..

كانَ الدَمُ ما يزالُ ينزفُ من عينيهِ .. والجروحُ المنتشرةُ في انحاء جَسَده تؤلمه بشدة .. مضى وقت ربّما اكثرُ من ساعة على اصابته ، وهوَ لا يقوى على الوقوفِ ..



لكنّه حاولَ بكل ما يملك من قوة من أجل العودَة الى قواتنا ، لكي لا يقعَ في الأسر ..

لكنّه يعرفُ انه الآن فوقَ تل صخري .. وحتى يصلَ طلالُ الى قواتنا ، عليهِ أن يهبطَ الى أسفل الوادي وأن يصعد تلاً آخر ثم يهبط الى أسفل واد آخر .

مع ذلك فقد باشَرَ طلالُ بتنفيذ خُطة عودتِه بالرغم من انه لا يرى شيئا ..

كانَ هُناك قطع جبلي شديد الانحدار ، وكانَ طلالُ يخشى السقوطَ من خلاله ..

لذا راحَ يبحثُ عن مناطقِ سيولِ مياهِ الأمطار ، كيْ ينزل من خلالها الى الأسفلِ ..

مشى قليلاً متحسّساً الأرض بكلتا يديهِ ، لكنّه فوجيء بحفرة أرادَ أن يتأكد من عمقِ هذهِ الحفرةِ ، وفيما إذا كانتْ هيَ القطعَ الجبليَّ ذاتَه أم مجرّد حفرة بسيطة ، لهذا رمى بقطعة حَجَرٍ صغيرة ، فسمعَ صوتَ ارتطام الحجرِ بعدَ وقت قصير جداً ، وهذا ما جعله يطمئن بأن هذهِ حفرة بسيطة ..

وكانت المفاجأة قاسية جداً عندما قرّرَ طلالُ القفزَ من خلالِ الحفرةِ ، إذ سقَطَ الى أسفل التل نحو الوادي ..

عرفَ عندَ ذاكَ ان الحجَر سقَطَ في منطقة قريبة ، وأنه القى بنفسه في ذاتِ القطعِ

لقد سقَطَ طلالُ على ذراعِه اليسرى التي كانَ يستقر فيها عدد من الشظايا ..

حاولَ الوقوفَ مرة أُخرى ، لكنّه سقَطَ من شدّةِ الألم ..

اليوم الأول

بقيَ طلالُ حواليْ ساعة ونصفَ الساعة بلا حركة من شدةِ الألمِ الذي أصابَ ذراعهُ اليسرى بعدَ سقوطهِ من التلّ .. كانَ خلالَ هذا الوقت يُصغي للقصفِ المدفعي بينَ قواتِنا وقواتِ العدوّ الايراني، جاهدا ذهنَه من أجل الاستدلالِ نحوَ الدربِ الذي يُوصلهُ الى قواتِنا ..

الصعوبة القائمة في مسيرةِ طلال كانتْ تلا آخر يقعُ في طريقهِ نحوَ قواتِنا .. حاولَ ان يتذكرَ طريقا سهلاً، يُمكنه من صعودِ التلِ، لكنه فشل، لهذا راحَ يستخدمُ يديهِ في التلمسِ من أجلِ الاهتداءِ الى طريق يوصلهُ الى أعلى التل ..
لم يكنْ هُناكَ أي سبيل، سوى السير بمحاذاة التلّ والالتفاف حولَه ..

المفاجآت تداهمُ طلالَ والصعوبات تزداد .. وكانَ فقدهُ لبصرهِ أكبرَ تلكَ الصعوبات .. وأسوأ تلكَ المفاجآت كانت حادثة اصطدامهِ بالأسلاكِ الشائكةِ، وهذا يعني وصوله الى حقلِ الألغامِ العائدِ لقواتِنا قبل بدء الهجومِ المعادي، حسبَ علمِ طلال ..

فرحَ طلالُ لأنه كانَ يمشي بالاتجاه الصحيح .. ولكنْ كيفَ سيجتاز حقلَ الألغامِ هذا؟ أمامه اختياران إما يجتاز حقل الالغام، أو السيرُ مرة اخرى بمحاذاة الاسلاك الشائكة، واختار طلالُ الفكرةَ الثانيةَ حتى لا يُعرضَ نفسهُ للموتِ وسَطَ حقلِ الألغامِ ..



وهكذا كانَ يُمسكُ بامتدادات الأسلاك الشائكة ويمشي بموازاتها .. وبينَ خطوة واخرى، كانت الأسلاك تنغرس في كفه مثل إبرٍ ناعمة .
لكن هذهِ الجروحَ لم تُثنيه عن الاستمرار في المشي ..
كانتْ خطواتُ طلال تزداد سرعة شيئا فشيئا .. والحلم بداخلهُ ينمو مثلَ شجرة يانعة .. كانَ يحلمُ كيفَ سيلتقي بقواتِنا، ومقدارُ الفرحَة التي سيحياها لأنه لم يقعْ في أسر العدو الايراني ..
في هذه الاثناء، وبينما هوَ يحلمُ، صارَ طلال يبطيء من خطوهِ ..
وفجأة توقّف، لأنه اكتشف وصولَه الى قطع جبليّ حاد ..
جلسَ طلال يفكر بطريقة أُخرى يصلُ فيها الى قواتِنا ..
قاومَ اليأس وأبعد عن ذهنه صورةَ الوقوع في الأسرِ .. ليسَ هُناك أي سبيل سوى اجتياز حقل الألغام، وهذا يعني الموتَ بعينيه فالمشي وسطَ غابة مزروعة بالألغام والبارود والموت المفاجيء، مغامرة نتائجها معروفة .. معروفة ..
مرَّ وقت طويل وطلال لم يقرّر بعدُ بأي اتجاه يمشي .. مرّت على ذهنه أفكارٌ كثيرة الاّ فكرة واحدة، هي المشي في الاتجاه المعاكس وتسليم نفسهِ للقوات الأيرانية المعادية ..



فهذه الفكرةُ كانتْ ابعد ما تكون عن ذهنهِ .. لذا قرّرَ معَ نفسِهِ:إن الموتَ أهونُ عليَّ منَ الوقوعِ في أسرِ هؤلاء المجرمين ..

لم يجدْ طلال إذن أيَّ اختيار سوى اجتياز حقلِ الألغام .. تمزّقَ سروالهُ وهوَ يمد ساقَه اليمنى نحوَ حقل الالغام،محاولاً عبورَ الأسلاك الشائكة .. تغلّب في داخله على كل مخاوفه ودعا الله ان يُبارك خطواته .. كانَ يسترجعُ في ذاكرتِهِ وهوَ يمشي، كلمات وتعاليم القائدِ والمعلّم الكبير صدام حسين،فيزدادُ إصرارا وصمودا على المضي وهوَ يقولُ في نفسِهِ :

ـ سأحكي قصة عودتي هذه لقائدنا الكبير، ولأهلي وأصدقائي حيثُ سيكون الفرحُ كبيرا بعودتي إليهم .



كانتْ خطوات طلال في حقل الألغام،مترددة بعض الشيء ،لكن فكرة الأسر كانتْ تدفعهُ لأن يمضي قدُما في حقل الالغام .. وكلما خطا خطوة ونجا ، يقولُ لنفسه:سوفَ يتفجرُ لغم تحتَ قدمي في الخطوةِ القادمة ..

اجتياز حقلِ الغام يتطلب خبراء متخصصين لكشفِ مواقعِ الألغام وفتحها وإبطال مفعولها بدقّة متناهية .

لكنَ طلالَ الذي وجدَ نفسَه بينَ اختياري الأسرِ أو الأستشهاد،فضّلَ الاختيارَ الثاني معَ مراعاة أمل النجاة والوصولِ الى قواتنا .. والغريبُ انه كانَ يتقدم وسطَ حقلِ الألغام دونَ أن ينفجرَ اي لغم تحتَ قدميهِ .. وعلى ما يبدو ان ألغام هذا الحقل،كانتْ قد انفجرت تحتَ أقدام الغُزاة من أفراد العدو الأيراني،اثناء عدوانهم ضد قواتنا دونَ ان يعرف طلالُ بهذا الأمر ..

او ربما أخلي الحقلُ من الالغام من قبلِ قواتنا اثناءَ تقدمها لصدِّ العدوان الايراني ..

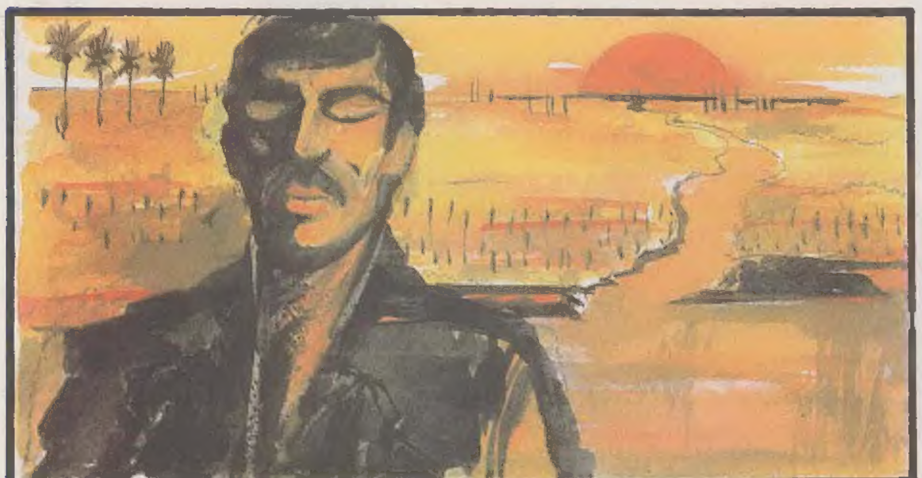


لم يفكر طلالُ كثيرا بأسباب عدمِ انفجار الألغام تحتَ قدميهِ ، ذلكَ لأنه وضعَ في حساباته عامل الأستشهاد من اجل أرض العراقِ،وقضيتنا العادلة منذُ أن صارَ مقاتلاً في جيشنا الباسل ..

كانَ كل تفكير طلال يصبُّ في كيفية عودته الى أرض الوطن،والى رفاقه وأهله ..

كمْ كانتْ دهشة طلال كبيرة عندما وجدَ نفسه عندَ الطرفِ الآخر من حقل الألغام ، عندَ بقايا الأسلاك الشائكة التي تحدُّ حقل الألغام عادة ..

لقد اجتاز الحقل إذن بسلام وهذا ما جعلَ طريقا جديدا من الأمل يمتدُّ أمامه مثل شعاع يُنير في دواخله ..



الرحلة الشاقة

عندما انهى طلالُ حقلَ الألغام بسلام ، اعتقد بأنه تجاوز اخر صعوبة في طريق عودته الى قواتنا ..

كانَ عليه ان يهبطِ التل الصخري ، وهذه المرّة لم يغامرْ بالقفز،كي لا يتعرض للسقوط مرة ثانية ، لهذا قرر الزحفَ على مؤخرتِهِ للهبوطِ نحوَ الوادي ..

لكنّ الصخورَ مزقتْ سروالهَ اثناءَ الزحف .. وصارتِ الأشواكُ تنهشُ لحمَهُ ، ومعَ هذا لم يتوقف طلالُ عن الزحفِ .. كانتْ رؤوس الاحجار المدببة والحصى الخشن، والاشواك اليابسة تنغرس بفخذَيهِ وهوَ يزحف الى اسفلِ التلِ .. الدماءُ بدأتْ تسيلُ من جسدهِ لكن قرار طلال بالوصول الى قواتنا،كانَ أقوى من كل الجروحِ والعقباتِ ..



حسبَ تقدير طلال للمنطقة ، انه وصَلَ الى المواقعِ التي كانتْ تتواجَدُ فيها قواتنا .. لكنه اكتشف ان المنطقة خالية تماما ، لهذا قدر ان قواتنا قد انسحبت الى مواقع جديدة ..

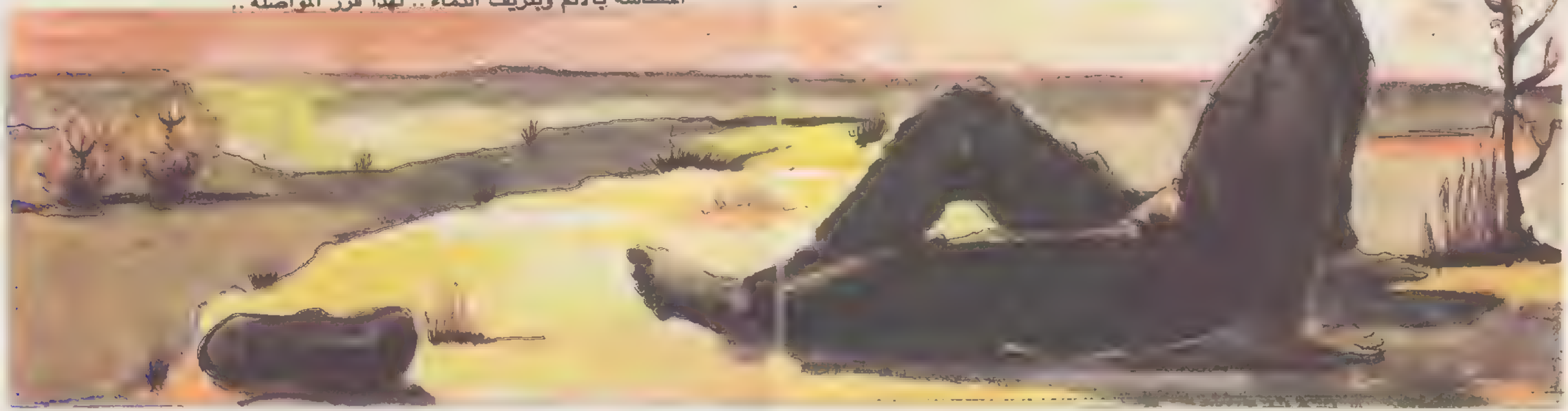
-«لا يهم» قالَ طلالُ لنفسه مصمماً .. سأواصل المسيرَ حتى أصل ..

واثناء زحفه ، كانَ طلال قد فقَدَ الحذاءَ الأيمنَ .. حاول العثور عليهِ ، الا انه فشلَ في ذلك ، لهذا قرر التخلي عن الحذاءِ الآخر ومواصلة السير حافي القدمين .

القصفُ المدفعي بينَ قواتنا وقوات العدوّ الأيراني ، لم ينقطعْ .. القذائف والرصاصات كانت تمر من فوقِ رأس طلال .. وكانَ يسمعُ أزيزَها وصوت احتكاكها بالهواءِ،وهي تنطلق سريعة قُرب أذنيه ..

حلَّ المساءُ .. وجاءَ معهُ البردُ .. ومعَ البردِ بدأتْ آلام طلال تشتدُ قسوتُها .. لم يكن أمام طلال إلاّ البقاءُ في مكانه ريثما تشرقُ الشمسُ .. فهو رغم إصابته بعينيه بشظايا القنبلة اليدوية المعادية ، إلاّ ان عينه اليسرى كانتْ تتحسَّسُ الظلامَ والضوءَ،لأن العصَب البصريَّ لعينيه اليُسرى كانَ ما زال حيّا ، وكانَ بإمكانِ هذا العَصَب ان ينقلَ للدماغِ،الاحساس بالظلام والضوءِ،حتى وان كانتِ العينُ اليسرى مصابة ببعض الجروح ، كما أنه كانَ يشعرُ بشروقِ الشمسِ ومغيبها من أحساسه بالحرارة والبردِ ..

الدماءُ ما زالتْ تنزفُ من جروحِ طلال .. لكنَّ إصراره وصمودهُ كانَ أقوى من أحساسه بالألم وبنزيف الدماء .. لهذا قرّرَ المواصلة ..



الأرضُ الحرام

كانَ احساسُ طلال بضياءِ الشمسِ ،هوَ دليلَه وخارطته الوحيدَة .. فعندما يتحسس ضياءَ الشمسِ عندَ الفجرِ ، كانَ يتركُ الشمسَ خلفهَ ويمشي عكسَ اتجاهِ ضيائها ، ذلكَ لأن الشمس تشرقُ من جهةِ الشرقِ ، اي من جهةِ الأراضي الايرانية .. وعندما يشعرُ بأن الضياءَ بدأ يخفتُ والجو يبردُ فهذا يعني ان الشمسَ تغرُبُ عن الدنيا .. اي في جهةِ الغربِ ، اي بأتجاه ارضِ العراق ، فيمشي باتجاهها ذلكَ ان طلالَ حتى هذهِ اللحظة،لم تكن عينُه اليسرى قد فقدت الأحساسَ بالضوء .

وفي هدأة الليلِ كانتْ تصلُ الى أذني طلال أصواتٌ كثيرة .. حركة سيارات ، سرف دبابات وناقلات ، كانَ يسمعُها بوضوح .. ولكنْ من يدري لمن تلكَ العجلات والدبابات ؟! حتى أصوات البشر كانتْ تصلُ الى اذنيه مُبهمة غير واضحة ..

كانَ بامكان طلال أن يصرخَ طالبا المساعدةَ ، أو يشعل عودَ ثقابٍ كاشارة وسط حلكةِ الظلام ..

لكنّه كانَ يخشى ان تكونَ تلك الاصوات لافراد العدوّ الايراني ، وبذلك يقدمْ نفسَه لهم اسيراً بسهولة بعد أن عانى ما عانى من مشاق مسيرته المتعبة .

كانَ طلالُ يعاني اثناء النهار من حرارة الشمسِ القوية ، حيثُ يتصبب منه العرقُ،فيدخلُ بينَ جروحِهِ مما يسبب له الآلام والحرقة ..

اما اثناء الليلِ ، حيثُ يشتد البردُ في البرّ ، فأن جسدَ طلال يبدأ بالارتعاش.وكانت اسنانهُ تصطك ، وفكاه يصفقان من شدة البردِ،حتى انه كان يمسك فكيهِ بيده لكي لا يسمع لهما صوت اثناء ارتعاشهما ! !

قسوة الآلام بدأت تزداد .. آلامُ جروحِهِ ، وعطشهُ وجوعه .. انها قسوة اكبرُ من قسوة الموتِ بكثير ، لكنه لم يُرِدْ أن يموتَ هُنا .. كانَ طلال يُريد العودة الى أرض الوطنِ،ويتنفسُ رائحةَ تُرابه ..

حلقُه بدأ يجفّ،لهذا كانَ طلال يعصرِ النباتاتِ البرية،التي يتحسّس وجودَها بقدميه الحافيتين .. بعضُ تلكَ النباتات كانتْ ذات طعم مُرّ ، لكن رغم مرارتها كانتْ ترطبُ فَمَه وبلعومه ، فيشعرُ بارتياح كبير ..



اليوم الرابع

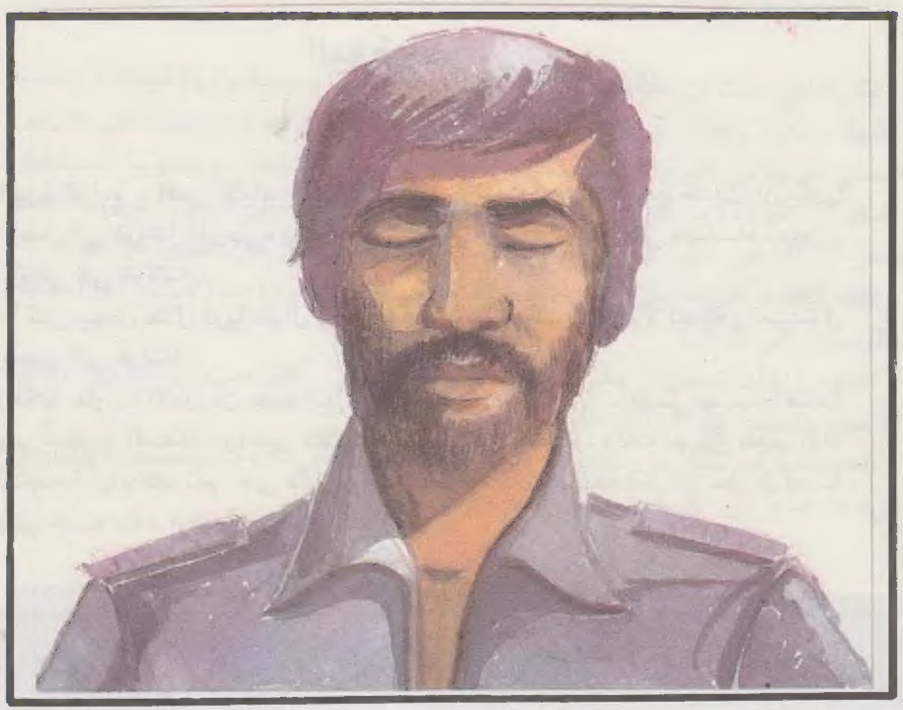


مرتْ ثلاثةُ ايام ، قاسية ومُرعبة ومتعبة من رحلة طلال .. في اليوم الثالث مـن تلك الرحلة المهولة، فقدَ طلال قلنسوةَ الرأس التي كانَ يستخدمها كوسادة اثناء نومـهِ فوق الارض ..

ففي الليالي التي مضَتَ كانَ طلال يتخذ من الأرض،فراشا لنومهِ دونَ ان يحسبَ أيَ حساب لخشونة الصخور التي ينامُ فـوقَها،أو لوجـودِ الأشـواك أو الديدان او الحشرات السامة،وحتّى الأفاعي ..

وفي الليلة الثالثة نامَ طلالُ فوقَ مستعمرةٍ للنمـل ، حيثُ هـاجَمه النمـلُ وبقيت لسعاته ساخنة في جسَدِه .. لكن الذي كانَ يجعل طلال ضعيفا ومتعبا ، هو شـعوره بالجوعِ واحساسه . بالتعبَ الشديد جراء مسيرة الايام الثلاثة الماضـية .. الجـوع صارَ يقرصُ امعاءه .. لكنّه قرر مواصلَة المسير .. تخلص مـن حـزامهِ العسـكري (النطاق) لثقلهِ ..

وها هوَ اليومُ الرابعُ يجيء باردا .. لكن طلال كانَ ما يزالُ يحاولُ السيرَ .. كانَ ينقل خطواتهِ بثقل كبيرٍ وكأنه يحملُ فوقَ كَتفيهِ جبلاً من الصخور الثقيلة ..



وكلما أرادَ التعب ان يُسقطه فوقَ الأرض ، يتحدى التَعَبَ ويمضي ..

في لحظة من لحظات تَعَبِهِ الشديد شعَرَ طلال،ولأول مـرّة بالأمـل يشـع في قلبه ، التفاؤل يفرشُ أمامهُ دربا سهلة للوصـولِ الى قـواتنا .. حيثُ لامسـتَ قـدماهُ الحافيتان أرضا رملية يكسوها الحصى الناعم ، وصارَ يصعد تلالاً ليسـتْ مـرتفعة ، وهذه أولى دلائل وصولِه الى قواتنا التي كانتْ تُعسكرُ في ارض مُشابهة لهـذهِ التي يمشي فوقَها.

«إذن انا الآن فوقَ الأرض العراقية» قالَ طلال فَرحا .. وهـكذا صـارَ يواصـل مسيرته بقوة وإصرار كبيرين ، فلم يبقَ غيرُ القليل،حتى يرتاح نهـائيا مـن هـذا التعب ..

حاولَ ان يصرخ .. ان يقول:«انا طلال لطيف مـلازم في الجيشِ العـراقي»،الا ان الكلمات انحبسَتْ في فَمِهِ ، فربما تكونُ هذهِ الأرضُ عائدة للقواتِ المعادية .

وسوف يلومُ نفسهُ بأنه جعَل افراد العدو الايراني يهتدون اليه بعدَ مشـقّة اربعـةِ ايام من المسير ..

-«لقد وصلتُ .. وصلتُ الى قواتنا وهذا كل شيء ..»

قال طلال ..

اليومُ الأخير

اليومُ الرابعُ .. أقسى الأيامِ التي مرَّت على طلال .. فبعدَ أنْ توقَّع طلال أنْ يكون قد وصل الى قواتنا ، فوجيء بانتهاء هذا اليومِ دونَ أن يعثر على مبتغاه ، ودونَ أن يَصل الى قواتِنا ..

ما كان يجعلَ طلال قويا طوالَ رحلته هذه ، انه لم يفقد الأمل ولا لحظة واحدة في الوصولِ الى قواتنا ..

وهكذا عاوَدَه الأملُ من جديد معَ إشراقةِ اليومِ الخامسِ .. ففي صباح هذا اليومِ أُمطرت السماءُ ، واعتبر طلالُ هذا المطرَ فألاً حَسَنا ، ولانه لم يذُق طعمَ الماء منذُ خمسةِ أيام فقد نامَ على ظهره وفتحَ فَمَهُ ، سقَطَت بضعةُ قطرات مطر في فَمِهِ ، واعتبر نفسَه بأنّه ارتوى من تلك القطرات ..

لكنَ الذي حدَثَ ان ملابسَهُ تبلّلتْ كلّها ، وصارَ الهواءُ يصطدم بها فيجعلُ منها ثلاجة ، عادتْ رعشةُ البردِ تنالُ منه ، لهذا قرَّر النومَ بأن يجعلَ وجهه الى الارض ليحمي عينيهِ من البردِ .. نامَ أكثر من ساعة ونصفِ الساعة .. وعندما استيقظ اعتقدَ ان احدا ما من قواتِنا قد عثَر عليهِ أثناءَ نومِهِ وحمله الى أُرض أخرى .. فقد شعَرَ ان الأرض التي تحته نظيفة ولا تُشبه الأرضُ التي كان عليها قبلَ نومِهِ ..

لكنه أكتشفَ قنيفة غيرَ مفجورة تحتَ قدميهِ مباشرة وهذا ما هَدَّمَ كلّ آماله بالوصول الى قواتنا ..

الشمسُ بدأتْ تسخنْ .. مشى تحتَ حرارة الشمسِ أكثرَ من ساعتينِ .. لكن الأعياءَ والتعَبَ كانا ينالان منه ..

خطواتُهُ بدأت تثقلُ من جديد .. أراد أن يستمر في المشي لكنّه واجه صعوبةً بالغة .. شيء ما شدَّه الى الأرض، حتى سقطَ مغميًا عليه ..



الوقوع في الأسر

عندَ الظهرِ صحا طلال من اغماءته على صوتٍ صغير .. اختنقتْ أنفاسُهُ ، ذلكَ لأنه عرَف انه سقطَ بيدِ قوات العدوّ الايراني .. فأفراد العدو ، عندمـا يرون شـيئًا غريبا ، أو شـخصا غير متأكدين من هويّته ، يبدأون بالصفير فيما بينهم .. تَبِعَت الصفيرَ أقدام كانت تصِـلُ حـركتُها الى أذنيهِ .. ثمّة مَنْ يقتربُ منه .. بقي طلال جامدا في مكانهِ بلا حركة .. سمعَ حـديثَهم وهُـمْ يقفونَ قُربهُ .. احدهمُ سَحَبَ اقسامَ بندقية .. ظنَّ طلال أنه سوف يعـدِمه ، لكن الرصـاصاتِ وقعت قُربَ أذنيه ممّا سبب حركةَ رد فعلٍ من طلال .

ومع أُول حركة انهالت الضرباتُ القاسية من قِبلِ أفراد العدوِ الايراني .. كانت ضرباتهـمْ تستهدفُ جروحَ طلال ..

بعدَ خمسة ايام من المسير المتعب،عانى خلالها طلالُ من التعـب والعـطش والجـوع وآلام الجروح التي كانتْ تنزفُ دما ، سقطَ طلالٌ اسيرا بأيدي الأعداء ..

كانَ الدمُ يلون وجهَهُ وملابسَه وشعرَهُ الأشعث ..

لم يهتم افراد العدو الأيراني،لكون طلال فاقدا للبصرَ ، فقد اقتادوه بالضربِ والصـياح الى مواقعِهم وكأنهم قد احرزوا نصرا كبيرا على أسيرٍ لا يملك السـلاحَ ، بل ولا حتى القـوة ولا البصر ..

ولأن قـواتِ النظـام الأيراني لا تعترفُ بالمواثيق الدوليةِ والتي تنص على معـامَلة اسرى الحربِ معاملة حسنة ، ولأنهم اشرار ووحشيون ، فقد عاملوا طلالَ بوحشية تامة وبطرق تنافي كل القيمِ الانسانية تماما عكسَ معاملَتنا لأسراهمْ حيثُ ينعمون هُنا بالراحة والرعاية حسبَ وصايا نبينا الحنيفِ ، وأوامر قيادتنا الحكيمة والتوجيهاتِ الانسانيةِ لقائدنا صدام حسين ..

أما طلال ، فقد عومِلَ ، مثلما عومِـل بقية اسرانا هناكَ بالعنف والضرب رُغم انه جـريح .. ولأن افراد النظام الايراني لم يكلفوا انفسـهم برعايته صـحيا ، فقـد أُجـروا له عمليةً قتلتْ العصَبَ البصري لعينهِ اليسرى ، تاركين الشظايا مزروعة في جسدِهِ ..





المسح الضوئي : bluebird06
اعداد وتوثيق : احمد هاشم الزبيدي
٢٠١٦م

الجمهورية العراقية ص. ب. (١٤١٧٦) هاتف (٧٧٦٠٦٢١) تلكس (٢٦٠٦)
Childrens Culture House THAKAFA- IK- TLX 2606
IRAQ- BAGHDAD

المدير العام رئيس مجلس الادارة : فاروق سلوم

سكرتير التحرير : شفيق مهدي

رقم الايداع ١٤٨٩ في المكتبة الوطنية ببغداد لسنة ١٩٨٥
توزيع الدار الوطنية للتوزيع والاعلان
ثمن النسخة خارج العراق ٣٥٠ فلساً

سلسلة قادسية صدام
مكتبة الطفل
٢٠

دار الحرية للطباعة - بغداد